فيها وتتبلور، منذ منتصف الثلاثينات وأوائل الأربعينات؛ وهي فترة ازدهار الاتجاه الرومانتيكي في الشعر العربي الحديث، هذه الفترة التي عقدت فيها أزهار الاتجاهات التجديدية لدى كل من عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني في مصر، ولدى شعراء المهاجر الأميركية الشاميين، ثم أثمرت هذه الأزهار بعد ذلك شعر من سموا «جماعة أبولو» رمزا على اتجاه غالبية شعراء هذه الجماعة إلى الاتجاه الرومانتيكي في الشعر العربي الحديث... إذا لاحظنا ذلك، فاننا لابد من ان ندرك كيف أن شاعرا موهوبا مثل حسن البحيري، يتثقف على نفسه في تفتح وحرية في أجواء فلسطين الثقافية آنذاك، وقد كانت قوية الاحتكاك بالأجواء الثقافية العربية بعامة، كان لابد له من أن يتسربل بالرومانتيكية التي غمرت نفسه وقلبه. ولذلك لم يكن غريبا أن يلقبه احمد رامي «شاعر الحب والجمال»[٦]، كما لم يكن غريبا أن يهدي ديوانه الأول الى احمد رامي وأن يلقبه بدوره أمير شعراء الوجدان، وشاعر شباب النيل «الذي حرك أوتار القلوب بشعره، وحمل الأرواح الى عالم الأماني والأحلام»[٧].

ومع أننا نحس، في هذه الفترة، أن البحيري شاعر رومانتيكي من أخمص قدميه الى مافوق أذنيه بأشبار، إلا أنه يمكن للدارس المدقق أن يلحظ أن هذه الرومانتيكية لم تكن من ذلك النوع المتميع الرخو أو «المطرطش» العاطفة، على حد قول المرحوم محمد مندور؛ ولكنها كانت رومانتيكية فيها قدر كبير من التماسك والصلابة، وقد هبت عليها بعض رياح الهموم والأوجاع الفلسطينية آنذاك، فألقحت في تربتها، منذ وقت مبكر، بعض بذور وطنية بدأت تنتعش في مناخ الثورة الشعبية عام ١٩٣٦ التي تتصل جذورها بحركة الشيخ عز الدين القسام التي كانت مدينة البحيري بالذات، حيفا، وجامع الاستقلال فيها على الخصوص، ميدانا ومنبرا انطلقت عنه وانتشرت فيها دعوته الوطنية المخلصة إلى الجهاد، التي لانشك في أن الفتى حسن تشرب من أنفاسها، ولفحه شيء من وهجها القصير الأمد. وجاء الاضراب الكبير الذي شمل فلسطين طوال ستة أشهر، وثورة ١٩٣٦ في ظروفها الخاصة ليجعلا الشاعر الصغير المتلهف على الثقافة يستمرىء مذاقاتهما من خلال شعر ابراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي، وعبد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق ووديع البستاني* واسكندر الخوري البيتجالي وغيرهم من الشعراء الطليعيين في فلسطين يومئذ. ومن هنا، فاننا نقرأ له، في هذه الفترة، قصائد: نشيد بلادي، لهب الشباب، معاقلنا، قومي[٨]، وقد نشرها في ديوانه الثالث «ابتسام الضحى». ويبدو فيها بوضوح، خاضعا لعدة عوامل ومؤثرات أولها، عامل السن؛ حيث لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره، على أبعد الاحتمالات. ولذلك، فاننا نحس، في هذه القصائد الوطنية، بروح الشباب العارم المتدفق من ناحية كما نحس، في إحداها على الخصوص، من ناحية أخرى، بسمات من بدائية العمل الفني. ويتضح ذلك في قصيدة «معاقلنا» التي ربما كانت من أوائل منظوماته، وذلك لما فيها من حدة عاطفة مع قصر نفس، ووضوح ومباشرة مع نثرية

---

* شاعر لبناني المولد والنشأة، فلسطيني الاقامة والتوطن، قدم الى فلسطين موظفا ضمن بعض ادارات الاحتلال البريطاني منذ عام ١٩١٧. وقد واكب تطورالقضية الفلسطينية عن كثب. وله ديوان «الفلسطينيات»، وفيه تصوير دقيق لتطورات هذه القضية.